

قال الله- تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ﴾ إن تحقيق العبودية لله، مطلب شرعي لا بد من تحقيقه، بل إن الله- عز وجل خلق الكائنات كلها لعبادته، من إنس وجن وملائكة وحيوان ونبات وجماد، وغيرها من الموجودات، فطرها سبحانه على توحيد والاعتراف بألوهيته والإقرار بفقرها واحتياجها وخضوعها له جل وعلا، إلا أننا نجد العجب من أمر هذا الإنسان من انصرافه وبعده عن العبودية الحقّة لله، وانشغاله بملذات الدنيا وشهواتها، ولذا فقد كان هذا الإنسان في مجموعة أقل الكائنات عبودية، وأكثرها معصية وأشدّها استكباراً على مقام العبودية: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ - إن الغاية من دعوة الرسل جميعاً لأقوامهم هم العبودية ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله- واجتنبوا الطاغوت ﴾ فموسى عليه السلام كان أول ما أوحى الله تعالى به إليه ﴿ إنني أنا الله- لا اله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ وأول ما نطق به عيسى عليه السلام أمام قومه: ﴿ وإن الله- ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ ونبينا محمد صلى الله- عليه وسلم قال الله- تعالى له: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ فكان عليه الصلاة والسلام قمة المثال الذي يقتدي به في تحقيق العبودية فوصل إلى أعلى مراتبها وأسمى منازلها فكان أحق من يوصف بهذا الوصف وأهلها دون غيره من البشر، نعود إلى موضوع هذا الإنسان وعبوديته لله عز وجل، وسيكون لنا معه حديث خاص لكن قبله لنستعرض كائنات ومخلوقات أخرى غير الإنسان، وما مدى قربها وبعدها من تلك العبودية عن جابر بن عبد الله- رضي الله- تعالى عنه قال: قال رسول الله- صلى الله- عليه وسلم: ((إنه ليس من شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنني رسول الله- إلا عاصي الجن والأنس)) قال الله- تعالى: ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ فلنبداً بعرض بعض الصور من عبودية الحيوانات والدواب. إن هذه الحيوانات لها عبوديات تخصها، تشترك في بعضها مع الإنسان في الاسم وتختلف في الكيفية: وكثير من هذه الحيوانات تقدم عبوديتها لخالقها أحسن من كثير من البشر، فهذه الدواب تسجد لربها: ﴿ ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ ومن عبوديتها أن هذه الدواب تخاف من يوم الجمعة لأنها تعلم بأن الساعة تقوم يوم الجمعة، وكثير من الإنس في غفلة، روى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله- عنه أن النبي صلى الله- عليه وسلم قال: ((ما من دابة إلا وهي مصيخة أي منصّة ومستمعة - يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة)) ومن عجيب عبودية هذه الدواب لربها أنها تستريح إذا مات رجل فاجر في هذه الأرض روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله- عليه وسلم مر عليه جنازة فقال: ((مستريح ومستراح منه، فقالوا: يا رسول الله- ما المستريح وما المستراح

منه؟ قال: إن العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب)) إن الدواب تنزعج من وجود الفاجر في الأرض لأنه مبارز لله عز وجل، لذا فإذا مات الفاجر، استراحت منه البهائم، سبحان الله، حتى البهائم والدواب تميز بين أولياء الله وأعداء الله، وكثير من الإنس في غفلة. أيها المسلمون:

فمن هذه الدواب والحيوانات - البقرة - روى البخاري في صحيحه: ((بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم، فقال عليه الصلاة والسلام: فأني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر)) فالبقرة تكلمت بأمر الله عز وجل، إلى هذا الرجل لتفهمه، سوء استخدامه لها وإن هذا يتنافى مع العبودية لله، وأنها لا تضرب بدون مبرر، وأنها إنما خلقت للحرث ونحوه، وأنها تؤدي العبودية التي أمرت بها.

ومن عبوديات الدواب: الحيتان: روى ابن ماجه قوله: صلى الله عليه وسلم: ((إنه ليستغفر للعالم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر)) وعند الترمذي: ((إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير)) إن الحيتان في البحر والنملة في جحرها، يقدرون فضل العلماء والدعاة والمصلحين، ومعلمي الناس الخير، ورواية ابن ماجه تشعر بأن كل الكائنات علوها وسفليها، حيوانها ونباتها وجمادها، تقدر منزلة أهل العلم وأهل الدعوة والحريصين على مصالح الناس ومعلمي الناس الخير فهي تستغفر لهم، وسبحان الله. وكثير من الإنس في غفلة عن علمائهم ودعاتهم ومشايخهم ومعلمي الناس الخير.

ومن صور عبودية الدواب العجيبة: عبودية الذئب: روى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلب الراعي فانتزعها منه، فألقى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إلي، فقال: يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد صلى الله عليه وسلم يثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي، أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صدق والذي نفسي بيده)).

ومن عبودية الدواب عبودية الديك وأنه يوقظ للصلاة، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد: **((لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة))**، وفي رواية أبي داود: **((فإنه يوقظ للصلاة))** إذا كان سب الديك لا يجوز لأنه يأمر بالمعروف ويدعو إلى الصلاة، فكيف بالذي يسب من يدعو إلى الصلاة من أصحاب الهيئات. إن التعرض لديك لا يجوز، لأنه يدعو للصلاة وهذا أمر بمعروف، فكيف بالتعرض لغير الديك - ممن يدعو للصلاة ولغيرها من أبواب المعروف، وينهى عن أبواب المنكر المختلفة والمنتشرة في مجتمعات المسلمين والتي لا عد لها ولا حصر، لا شك بأن التعرض لهؤلاء أقبح وأبغض عند الله عز وجل.

أيها المسلمون:

أما عبوديات النباتات فأمر عجب، فهذا الشجر، الذي نص الله جل وتعالى بسجوده له بقوله: **﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾** والأعجب حديث بن عباس في سنن ابن ماجه وسنده صحيح أنه قال: **((كنت عند النبي عليه الصلاة والسلام فأراه رجل فقال: إني رأيت البارحة فيما يرى النائم كأنني أصلي إلى شجرة فقرأت السجدة، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها تقول الله- احطط عني بها وزرا، واكتب لي بها أجرا واجعلها لي عندك ذخرا، يقول ابن عباس: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ السجدة، فسجد فسمعتة يقول في سجوده مثل الذي أخبره الرجل عن قول الشجرة))** هذا الشجر يسمع الآذان ويشهد للمؤذن فعن أبي سعيد الخدري قال: **((إذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالآذان فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يسمعه جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر إلا شهد له))** ان هذا الشجر يلي مع تلبية الحاج والمعتمر قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: **((ما من قلب يلي إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا))** إن هذا الشجر له في تحقيق عبودية إن هذا الشجر سينطقه الله- عز وجل، سيتكلم الشجر عبودية لله، وولاء له وللمسلمين، وبراء من اليهود، حتى الشجر لا يرضى بوجود اليهود، فيريد أن يعجل المسلم بقتله: يا مسلم يا عبد الله- هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، فما بالناس لا نكون حتى بمستوى بعض الأشجار تجاه اليهود، إن أولئك الغرقديون، أمرهم مفضوح، لأن العنصر اليهودي منبوذ حتى من الشجر والحجر، لكن عجا لبعض البشر من الغرافدة إن صح التعبير أدنى بكثير في عبوديتهم لربهم من الشجر والحجر.

أما البحر فله عبوديات عدة، لكن من أعجبها ما جاء في مسند الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث القدسي عن رب العزة: **((ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله- تعالى أن**

ينتضح عليهم فيكفه الله- عز وجل)) وفي رواية: ((ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه ان يغرق ابن آدم، والملائكة تعاجله وتهلكه، والرب سبحانه وتعالى يقول دعوا عبدي)) فيا سبحان الله، البحر يقعر ويغضب، ويستأذن الله- في كل ليلة أن يهلك ويغرق الناس هل تعلمون بسبب ماذا؟ انه بسبب معاصي ابن آدم، وعدم تحقيق ابن آدم العبودية المطلوبة منهم، فيعظم على البحر أن يرى ابن آدم وهو يعصي الله- فيتألم لذلك ويتمنى هلاك ابن آدم، لكن الله- جل وتعالى بحلمه وعطفه ورحمته بنا يقول، دعوا عبدي.

نسأل الله- جل وتعالى أن يرحم ضعفنا وأن يجبر نقصنا وأن يعفو عنا وأن لا يؤاخذنا بأعمالنا، أقول قولي هذا واستغفر الله- .